مقدمة:

سأقدم في هذا البحث دراسة عن الحزن في الشعر السوداني عامة وفي شعر التيجاني يوسف بشير وإدريس جماع خاصة، فقد وجدت صفة الحزن منتشرة وسائدة في كثير من أشعار السودانيين، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب كثيرة، وقد تكون في الطبيعة القاسية، أو المجتمع المنضبط، أو الأسرة المتشددة، أو الفقر الذي يحيط ببعض الأسر.

مشكلة البحث:

دراسة الحزن في الشعر السوداني عامة، وعند التيجاني يوسف بشير وإدريس محمد جماع خاصةً، ما السبب في ذلك؟

أهداف البحث:

1- التعريف بمفهوم الحزن وربطه بالشعر عامة والسوداني خاصة.

2- بيان الأسباب التي أحاطت بكل من الشاعرين، التيجاني وإدريس جماع وجعلت الحزن يظهر في كثير من أشعارهما.

أسباب اختيار الموضوع:

1- الرغبة القوية في التعرف إلى أسباب الحزن في الشعر السوداني.

2- الرغبة الأكيدة في التعرف على شاعرين كبيرين ودراسة شعر الحزن عند شعراء السودان.

أسئلة البحث:

1- هل يرجع الحزن إلى أسباب ذاتية في الشخصية المعنية بسبب تعرضها لمواقف معينة أدت لهذا الحزن.

2- أم هل للأسرة السودانية المحافظة يد في ذلك.

3- هل البيئة الاجتماعية تحمل من الضغوط ما يجعل الإنسان منقسم الشخصية ثم يسيطر عليه الهم والحزن.

حدود البحث:

دراسة عامة عن الحزن في الشعر السوداني على تحديد البحث في الشاعرين الكبيرين إدريس جماع والتيجاني يوسف بشير

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

هناك الكثير من الدراسات حول الشعر السوداني عامة والشاعرين خاصة أهمها:

1/ دراسة: عبدالنبي عبدالله جمعه عرمان، (2009م) رسالة دكتوراه. جامعة أم درمان الإسلامية

عنوان الدراسة: الصور الفنية في شعر إدريس محمد جماع. دراسة أدبية نظرية.

تناولت الدراسة: الصور الفنية في شعر إدريس محمد جماع.

هدفت الدراسة إلى:

التعرف على قوة ملاحظة جماع في الوصف والبراعة والتصوير، وإبراز الفكرة في صورة حسية وأدبية مع الوضع في الاعتبار أن الجمال الأكبر مستمد من ناموس الكون، ومحاولة الكشف عن الأفكار والعواطف إزاء التجارب الإنسانية التي تجسدها نصوص جماع من الناحية الجمالية أو الجمال عنصر أصيل في بنية الكون والأحياء.

نتائج الدراسة: إن الصورة الفنية هي أساس العمل الأدبي وركيزة أساسية من ركائز النقد العربي الحديث، من خلال دراسة جماع وحياته وبيئته وثقافته وتجربته الشعرية وشخصيته وقد تعمقت هذه الدراسة الأدبية من خلال الصورة الفنية، يعد جماع

نموذجاً كاملاً لمعنى إنسان نادر الوجود في عصرنا الحالي وشعره صدى نفسه، وقد أحب إنسانيته وهام بها ومجد الإنسان الذي تتجلى فيه معانى الإنسانية الراقي في علياء سمائه.

2/ دراسة: منال أحمد محمد الطيب (2008م) رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية.

بعنوان: المرفوعات في شعر التيجاني يوسف بشير.

تناول هذا البحث المرفوعات في شعر التيجاني يوسف بشير.

نتائج الدراسة: إن الجملة الأسمية قليلة جداً في ديوان التيجاني، وأكثر التيجاني من ذكر اسم كان ضميراً أكثر من كونه اسما ظاهراً، ثم ذكر خبر إن أو إحدى أخواتها اسماً مفرداً في خمسة عشر بيتاً، ثم ذكره جملة فعلية وشبه جملة وجملة أسمية، أكثر علامات الرفع في ديوان التيجاني هي الضمة أكثر من الإعراب بالنيابة.

3/ دراسة: مارلين عوض الله الحسن (1997م) رسالة ماجستير في الأدب والنقد. جامعة أم درمان الإسلامية.

بعنوان: الجانب الإنساني في شعر إدريس محمد جماع.

نتائج الدراسة: كان إدريس جماع مواكباً لكل المدارس الشعرية القديمة منها والحديثة، وكانت حياته سلسلة من المعاناة ولدت شعراً حوى كثيراً من الأغراض والتجارب الشعرية الصادقة.

4/ دراسة: الحبر عبدالوهاب أحمد علي (2015م) رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا،

بعنوان: بناء الجملة وأثره الدلالي في شعر إدريس جماع، 1436هـ – 2015م

هدفت الدراسة إلى: إخضاع نصوص جماع الشعرية لدراسة نحو النص ورصد أنماط جمله وصورها في نصوصه، ودراسة الأثر الدلالي الناتج عن نظم بناء جمله،

والوقوف على مدى وعي جماع وهو يصب جمله في قوالبها بالدلالات التي يرمي إليها.

نتائج الدراسة: جاء شعر جماع محصوراً في ديوانه (لحظات باقية) الذي بلغت مجموع قصائده خمساً وستين قصيدة، وجد الباحث أن الجمل الخبرية أكثر وروداً في شعر جماع مقارنة مع الجمل الطلبية، وانعكست الحالة النفسية التي عاشها الشاعر بعد عودته من دراسته في مصر وعمله معلماً على شعره الذي غلب على جمله وحقوله الدلالية طابع التشاؤم والإحباط بعد أن كان يفيض حيوية وحياة وتفاعلاً مع محيطه.

تعليق وملاحظات الباحثة عن الدراسات السابقة:

لقد تعددت وتباينت الدراسات السابقة التي تناولت أشعار التيجاني يوسف بشير وإدريس محمد جماع.

أولاً: ملاحظات الباحثة على الدراسات السابقة التي تم عرضها في هذا البحث، فقد تناولت الدراسات السابقة رغم قلتها موضوعات تتعلق بالصور الفنية في شعر جماع والمرفوعات في شعر التيجاني ومنها ما تناول بناء الجملة وأثره الدلالي في شعر جماع ومنها ما تناول الجانب الإنساني في شعر جماع.

تلاحظ الباحثة تنوع المناهج التي استخدمت في الدراسات السابقة فمنها الوصفي التحليلي ومنها التحليلي الاستقرائي.

ثانياً: أوجه الالتقاء والاختلاف بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية: الدراسات السابقة تناولت جوانب متعددة من أشعار التيجاني يوسف بشير وإدريس محمد جماع. كما تناولت الدراسات السابقة أنواعاً مختلفة المجالات عن أشعار التيجاني وجماع.

بينما تناولت الدراسة الحالية الحزن في الشعر السوداني عامة ونموذج الحزن في أشعار التيجاني وجماع ومقارنة الحزن بينهما.

اتفقت هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في المنهج المتبع فيها، فمعظمها تبنى المنهج الوصفي التحليلي وكذلك الدراسة الحالية.

تم إجراء معظم الدراسات السابقة التي تم استعراضها في بيئات ومجتمعات عربية وكذلك الدارسة الحالية.

ثالثاً: الاستفادة من الدراسات السابقة في الدراسة الحالية: استفادت الباحثة من اطلاعها على الدراسات السابقة في جوانب عديدة منها: تكوين فكرة واضحة واتخاذ إطار علمي في تصميم الدراسة الحالية، وتحديد المنهج العلمي المناسب للدراسة الحالية، إذ أن المنهج الوصفي التحليلي هو الأنسب لمثل هذا النوع من الدراسات التي تهتم بدراسة الألفاظ وإحصائها ومقارنتها مع ما ذكره السابقين.

كما استفادت الباحثة من خلال اطلاعها على الدراسات السابقة في تحديد المراجع والمعاجم التي تحتاج إليها الدراسة الحالية. وقد مثلت الدراسات السابقة إطاراً علمياً ارتكزت عليه الدراسة الحالية من حيث طريقة الإحصاء، والمقارنات، ومنهجيتها والنتائج التي توصلت إليها.

رابعاً: موقع الدراسة الحالية من الدراسات السابقة: تتميز الدراسة الحالية بالجوانب الآتية: إن دراسة الحزن في الشعر السوداني وعند التيجاني يوسف بشير وإدريس محمد جماع ودراسة ظاهرة الحزن في موازنة بينهما تعد إضافة في مجال البحوث والدراسات الأدبية والنقدية، فقد تميزت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في أنها تطرقت لجانب مهم في حياة الشاعرين التيجاني يوسف بشير وإدريس جماع وهو جانب الحزن في أشعارهما.

هيكل البحث:

قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة شملت النتائج والتوصيات على النحو التالي: جاء الفصل الأول بعنوان عصر الشاعرين واشتمل على أربعة مباحث وهي المبحث الأول: الحياة السياسية والمبحث الثاني: الحياة الاقتصادية والمبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والمبحث الرابع: الحياة الثقافية. أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان الشعر السوداني واشتمل على ثلاثة مباحث وهي المبحث الأول: نشأة وتطور الشعر السوداني واتجاهاته والمبحث الثاني: مدارس الشعر السوداني أما المبحث الثالث: أغراض الشعر السوداني. وجاء الفصل الثالث بعنوان الحزن في أشعار التيجاني يوسف بشير وإدريس جماع واشتمل على ثلاثة مباحث وهي المبحث الأول: الحزن في أشعار التيجاني يوسف بشير والمبحث الثاني: الحزن في أشعار إدريس محمد جماع والمبحث الثالث: مظاهر الحزن عند التيجاني وإدريس (موازنة بينهما)، ثم الخاتمة والنتائج والتوصيات والمصادر والمراجع.

الفصل الأول

عصر الشاعرين

المبحث الأول: الحياة السياسية

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية

المبحث الرابع: الحياة الثقافية

المبحث الأول

الحياة السياسية

الأزمة السياسية كانت من أسباب الحزن عند الشاعران الكبيران، التيجاني يوسف بشير وإدريس محمد جماع.

يقول ضرار صالح ضرار: "سقط السودان مثخن الجراح فاقد القوة ضعيف القدرة أمام سطوة الأسلحة البريطانية الفتاكة في كرري والنخيلة، وفي أم دبيكرات، وكانت تلك المعارك الثلاث قد ألحقت الدمار بالقوة السودانية التي استكانت بعدها لسلطان القوة والجبروت"[1].

أما الخليفة عبدالله التعايشي فقد استطاع أن يضلل الإنجليز أكثر من سنة ويقول المستشرق روبن نيلاند: "ظل الخليفة عبدالله طليقاً لأكثر من عام بعد هزيمته في أم درمان"[2].

يمتلك الجيش الإنجليزي قوة عسكرية كبيرة وحديثة وترسانة حربية عظيمة مكنته من السيطرة على العالم، وكذلك هزم المهدية وبسط نفوذه على السودان، لكنه وقف عاجزاً أمام الروح الوطنية التي زرعها المهدي في نفوس المواطنين؛ إذ لم تقف دوامة الثورات والانتفاضات والمواجهات مع المستعمر الدخيل، وإن كانت غير منظمة ومتفرقة تظهر من حين إلى آخر[3].

وفي عام 1899م، تم حصار الخليفة من قبل الإنجليز وتم قتله ومن معه، يقول روبن نيللاند: "وفي الرابع والعشرين من نوفمبر 1899م، عثرت تلك

---

(1) تاريخ السودان الحديث – ضرار صالح ضرار، ط4، الناشر: الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1968م، ص234.

(2) حروب المهدية – روبن نيللاند – ترجمة: عبدالقادر عبدالرحمن، ط1، 2002م، ص 259.

(3) تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، مرجع سابق، ص 234 – 235.

القوات عل الخليفة وحوالي خمسة ألف من الأنصار بالقرب من كوستي، أرسل ونجت قواته عند الفجر لمهاجمة الخليفة في معسكره، ما أن اقترب الهجوم حتى نهض الأنصار الأبطال لمواجهته فمزقتهم المدافع الرشاشة والنيران الكثيفة، وعند تغلب الجنوب البريطانيون علي الأنصار ودخولهم معسكرهم وجدوا جثة الخليفة وأمرائه الأساسيين قد مزقهم الرصاص وهم جلوس على سجادة الصلاة ووجوههم نحو القبلة".[1]

دخل السودان بعد سقوط الحكم الوطني الذي أستمر ثلاث عشرة سنة مرحلة جديدة في تاريخه دامت تحت قبضة الإنجليز المستعمرين ستين عاماً تقريباً[2].

قام الإنجليز بطمس معالم المهدية، يقول مصطفى عوض الله بشارة: "أول عمل قامت به جيوش الغزاة بعد احتلال السودان هو تحطيم قبة المهدي في أم درمان وفي اليوم التالي أبحر كتشنر مع قوة كبيرة إلى الخرطوم حيث أدى صلاةً مع جنوده المسيحيين أمام القصر الذي شهد مصرع غردون في 20 يناير 1885م"[3].

عملت الحكومة على إنشاء طرق المواصلات لربط المنتج في البلاد إلى المستهلك في العالم الخارجي. يقول ضرار صالح ضرار: "كان الرأي عند الحكومة أن البحر الأحمر أسهل اتصالاً من حلفا حيث تنتقل الصادرات عبر مصر إلى الخارج، كذلك رأى أن تربط البلاد بشبكة مواصلات بالسكك الحديدية من الأبيض إلى مدني والخرطوم وذلك لترحيل الصمغ من الأبيض والقطن من

(1) حروب المهدية – روبن نيللاند، مرجع سابق، ص 259.

(2) الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، الناشر الخرطوم وزارة الثقافة والإعلام، 2005م، ص 28.

(3) الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشارة، مرجع سابق، ص 173.

الجزيرة عندما تتم زراعته ولذلك أنشئت ميناء بورتسودان ورست فيها السفن سنة 1907م، ووصل الخط الحديدي إلى الأبيض سنة 1912م، وبذلك أعدت شبكة عصرية للمواصلات ربطت بين الأراضي المنتجة والميناء الحديث[1].

وإذا تناولنا الحياة السياسية في السودان في عصر الشاعرين، تحدث عنها محمد أحمد المحجوب قائلاً: "تعد الفترة التي نشأ فيها الشاعران التيجاني يوسف بشير وإدريس جماع من أسوأ الفترات سياسياً، واجتماعياً، وثقافياً واقتصادياً لا في السودان فحسب، وإنما في العالم أجمع فقد أقتضت الأزمات السياسية والاقتصادية إلى نشوب الحرب العالمية الأولى عام 1914م – 1918م، الثانية عام 1939 – 1945م وترتب على ذلك تعسف المنتصر واضطهاد المهزوم، ووضعت الدول المهزومة تحت الوصاية الاستعمارية"[2].

"كان السودان تحت الوصاية البريطانية، إذ غالى الإنجليز في إذلال الشعوب، واستغلال خيرات البلاد، وإفساد أهلها، ونسخ ثقافتها، ورغم أطماع بريطانية الاستعمارية، كانت تضمر ضغائن على السودان تقتل الثوار السودانيين انتقاماً لغردون، كما أن لمصر أطماعها السياسية والاقتصادية في السودان، وانتقاماً من السودانيين بسبب غبنها لحرق السودانيين ابن خديويها إسماعيل باشا، فوجدت بريطانيا في أوهام مصر تلك سانحة استغلتها لحمل مصر لمشاركتها بتجريدة (حملة) الغزو الثنائي عام 1889م"[3].

---

(1) تاريخ السودان، ضرار صالح ضرار، مرجع سابق، ص 224.

(2) مجلة الفجر – الأدب السوداني والأدب المصري – محمد أحمد المحجوب، مج11، ع22، 1945/7/16م.

(3) راجع كتاب (الحركة الفكرية في السودان) و(كتاب نحو الغد) الخرطوم: دار البلد – 1999م، ط1، ص 172-197.

كشفت أحداث حركة 1924م تضارب المصالح البريطانية والمصرية، فقد استأسرت بريطانيا بحكم السودان بعد أن أجلت القوات المصرية من السودان، رغم احتجاج ثوار مصر على موافقة الملك على الجلاء، وحسرتهم على انحسار نفوذ مصر[1].

أما سياسياً فقد قامت الأحزاب السياسية في السودان متأثرة بالخلافات بين شريكي الحكم الثنائي في السودان، وكانت متناقضة في مواقفها السياسية، ويمكن حصرها في تيارين سياسيين:

أحدهما يدعو إلى قومية سودانية مستقلة في إطار القومية العربية الإسلامية كحزب المستقلين، وشعارهم، السودان للسودانيين، وكانوا يهادنون الإنجليز، بينما يدعو الاتجاه الآخر إلى استقلال السودان تحت التاج المصري، وقد توحد بعضها كحزب الأشقاء، واتخذ الوطني الاتحادي والاتحاديون، مكونين حزب الاتحاد الديمقراطي، وكانوا يدعون للوحدة مع مصر، وبعض تلك الأحزاب متأثرة بالآراء الاشتراكية مثل حزب الأشقاء، وتكشف دراسة شعر التيجاني وجماع موقفهما الرافض لهذا التنازع السياسي الذي يضعف قضية استقلال السودان، كما يصوره جمّاع في قصيدته مع ابن الحسن، وهي من القصائد التي تخلو منها طبعات ديوان لحظات باقية[2].

قامت الثورة الروسية البلشفية ذات الاتجاه المناقض للاستعمار، الداعية إلى نظام الحكم الشيوعي، والاشتراكي، والعلماني، وقد تأثر السودان بتلك

---

(1) العلمانية من منظور إسلامي، عبدالله حسن زروق، الخرطوم: الدار الوطنية للإعلام – ط1، 2000م، ص 2 – 3.

(2) نشأت جماعة الفجر حوالي 1944م، منهم محمد أحمد محجوب وعرفات، وشعارهم السودان للسودانيين. راجع كتاب (الحركة الفكرية في السودان) و(كتاب نحو الغد)، مرجع سابق، ص 172 – 197.

الأحداث سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، وأنعكس كل ذلك بصورة واضحة في تجربة الشاعر التيجاني يوسف بشير وإدريس محمد جماع الشعرية، خاصة اتجاه شعرهما العام الذي تتجلى فيه الصور الرومانسية بصورة أكبر[1].

يوجد اختلاف في الأسلوب بين شعراء الاتجاه الاتحادي الموالي لمصر وشعراء الاتجاه الاستقلالي الرافض للوحدة معها؛ فالشعر الاتحادي زاخر بالحماس الوطني السياسي؛ لأنها نظمت لانتقاص الحكم الأجنبي وإذكاء شعلة الوطنية في نفوس المواطنين ولتحقيق ما نظمت من أجله.

عمل شعراء السودان على التقرير والسرد إلا في القليل، فجاءوا بأشعارهم خالية من الوصف الدقيق العميق والتصوير الواضح الآسر لما يعانيه المواطنون من الحكام. كان الاتجاه الاتحادي تياراً غالباً بين جنبيه معظم الشعراء الشيوخ، خاصة الذين درسوا بمصر ونهلوا من علومها وثقافتها وامتد هذا الاتجاه واتسع، وأصبح له جمهوره العريض وتحول إلى حزب سياسي يكتسح أول انتخابات بعد الاستقلال، كقول الشاعر حسن طه:

فلتحيا وحدة وادي النيل تخرجهم عنا فيحيا مع الأحياء وادينا
فهي السلاح إذا صلنا بقوته نلنا الأمانَّي وأخضعنا السلاطينا[2]

جرت معظم أشعار الاتجاه الاتحادي على هذا النحو، فهي خالية من مقارنات مفصلة بالأمم الأخرى، أو مقارنة بين الماضي والحاضر وما ينتظرهم في المستقبل في عصر الحرية والاستقلال والاتحاد فنجد قصائد منظومة في أسلوب تزينه البساطة والوضوح أقرب للخطب السياسية، وقد وقف الشعراء في ذلك إذ جاروا ذوق عامة الناس ومستواهم، وهي مساهمة محدودة في الجهاد

(1) راجع كتاب (كفاح جيل)، أحمد خير، وهو أحد قادة الحركة الوطنية بودمدني.

(2) هاتف الجماهير – ديوان شعر، حسن طه، ص 107.

الوطني والكفاح السياسي، فقد كان لها دور كبير في تنبيه المواطنين وإثارة حماسهم.[1]

أما الاتجاه الاستقلالي فقد كان له شعراؤه وأدباؤه منهم صالح عبدالقادر وحسن عزت، والهادي آدم، ومحمد محمد علي، وعبدالله الطيب، ومبارك المغربي، وهؤلاء كانوا يدعون إلى فك الارتباط بمصر ويفضلون لبلدهم الاستقلال التام، وتميز شعرهم برفض وحدة وادي النيل معلنين رفضهم بالأمثلة والصور من تأذي المواطنين الحسي والمعنوي من دعوة الارتباط فعندهم حجج موضوعية تفضح مواقف مصر السياسية والأدبية تجاه شقيقها السودان، فمثلاً في قصيدة (صدى الاتفاقية) يقول مبارك المغربي:

ما كنت قبل اليوم طالب وحْدةٍ ماضي الكنانة لا يريد مُفسراً
حتى بدا في الأفق من تهفو له مصر فقلدها الوسام الأكبرا[2]

كان الشاعر حسن عزت صارخاً في نقده موقف مصر تجاه السودان، كان يرى عدم صون المصريين للعهود، مما دفعهم للتخلي عن السودان، فقال:

نشكو إلي الله أنا أمةٌ عرفت كيف الطريق ومالت وهي تختار
ولو عدلنا لعدنا من حماقتنا نقّلب الصُحف إذ فيهن أخبار[3]

وأحياناً يغلب على أسلوب الشعراء الاستقلاليين إظهار اليأس من المواطنين، إذ ينعون عليهم قصورهم ويرمونهم بالجمود والخمود ظناً منهم أن هذا الأسلوب أجدى وأفعل في إثارة الحمية من سواه، كما في قول الشاعر يوسف مصطفى التني، الذي لم يوجه في قصائده أي قدر من ثورته أو سخطه

(1) هاتف الجماهير – ديون شعر، حسن طه، ص 107.
(2) عصارة قلب، مبارك المغربي، ديوان شعر، ط2، 1978م، ص 98–99.
(3) دموع وأشواق، حسن عزت، ص 7.

إلى البريطانيين بوصفهم حكاماً أجانب، وكان يتحاشى غضب رؤسائه الذين كان يعمل موظفاً عندهم فيقول في قصيدته ثورة شاعر:

فشلت أمةٌ ينام بنوها عبد النفس سعدها وسعيد[1]

والقصيدة مفعمة بثورة وطنية متقدة، فلم يكن الشاعر راضياً عن واقع بلاده بل ساخطاً على أبناء وطنه الذين ارتضوا القعود وغفلوا عن بلادهم وما تحتاجه في حاضرها ومستقبلها.

أحس رجال التيار الوطني الجديد بأن الرومانتيكيين على الرغم من اهتمامهم بقضايا الوطن وتعبيرهم عن آلام الأمة ومآسيها وذم حاضرها والسخط على ماضيها، لم يحققوا ما كان يصبو إليه الشعب من التحرير والاستقلال والرفاهية، ولم يكن بعدهم عن الواقع واستغراقهم في الخيال والتصوير قادراً على إلهاب المشاعر وتوقد العزائم، ودفع الهمم للمضي قدماً لطاقات الأمة العليا لتحقيق مصالح الوطن النبيلة، وكان لاقتناعهم بأهمية مشاركة الشعر في المعركة دافعاً للتفكير في أدب جديد يواكب متطلبات النضال ويحقق ما يصبون إليه من حرية حقيقة تخلصهم من الاستعمار لينعموا بالاستقلال السياسي الحقيقي، ومن نهضة تقضي على مظاهر التخلف ومن غنىً يتيح لهم شيئاً من الرخاء الاقتصادي لتختفي مظاهر الفقر والجوع[2].

كان من الطبيعي أن يساير الشعر الحركة السياسية بالبلاد في عنفوانها وصدامها واهتمامها بالواقع وقضاياه وتحدياته، وقد شجع على ذلك افتتاح المكتبات وزيادة عدد القراء والصحف وبرزت منظمات أدبية كرابطة الكتاب السوداني، والندوة الأدبية بأم درمان، ونادى القصة في بحري، ووصلت نماذج

(1) ديوان التني – يوسف مصطفى التني، ص 27.

(2) الاتجاهات الشعرية في السودان – محمد النويهي، مرجع سابق، ص 100.

من الأدب النقدي عن طريق مصر، ولبنان وسوريا والشعر الحديث في العالم فتأثروا بها، وتأثروا بهذه المؤثرات جميعاً، وأخذ الشعر يشفى من داء الرومانتيكية، وعاد إلى أرض الحقيقة والواقع فتحرر من أوهامه، وفتح عينيه على شعبه وبلاده، فكانت الثمرة الاتجاه الطاغي نحو الشعر الواقعي الحديث الذي تمس جذوته اليوم كل أدب في سائر أنحاء العالم العربي[1].

(1) تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، محمد مصطفى هدارة، مرجع سابق، ص 291.

المبحث الثاني

الحياة الاقتصادية

كانت الحياة الاقتصادية في السودان في عهد المهدية تعتمد بصفة عامة على الزراعة والرعي، وقد أفضت الضرورة أيضاً بالخليفة عبدالله أن يعطل هذين الموردين في أخصب مناطقهما، وذلك أن هجرة البقارة إلى أم درمان أخلت المناطق الرعوية من الرعاة فأصبحوا عالة على بيت المال وقضوا على الأخضر واليابس فأمر الخليفة بترحيل أهل الجزيرة إلى أم درمان، مما زاد الأمر سوءاً، وأبت السماء أن تغيث الأرض وأبي النيل أن يفيض عام 1306هـ، وهبط الجراد على محصول عام 1307هـ فلم يدع فيه شيئاً يذكر، فأصابت الناس سنة لم يعرف السودان الحديث لها مثيلاً، سميت مجاعة سنة (6) يقال إنها أهلكت من الناس أكثر مما أهلكت منهم الحروب[1].

مر السودان في فترة الحكم الثنائي بظروف اقتصادية في عصر الشاعرين، فعند الحديث عن الحياة الاقتصادية نجد أن المستعمر قد أحكم قبضته على كل خيرات البلاد، وتحكم في مصادرها، ويكشف محمد عبدالرحيم في مقدمة كتابه (النفثات) معاناة المبدعين الاقتصادية في طباعة ونشر إبداعهم الفني، فقد أكمل مخطوطة كتابه عام 1931م ولم يحصل على المال الكافي لطباعته إلا بمساعدة السيد عبدالرحمن المهدي، والسيد علي الميرغني عام 1936م، بينما ظلت مخطوطة ديوان إشراقة التي اكتملت حوالي 1931م

(1) الشعر السوداني في المعارك السياسية، محمد محمد علي، 1821 – 1924م، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، ص 210 – 211.

رهن الضغوط الاقتصادية حتى بعد وفاته، لتطبع بمساعدة رجل الأعمال علي البرير عام 1942م[1].

كانت الأوضاع على درجة كبيرة من السوء من نواحيها السياسية والاقتصادية، عظيمة الاضطراب والبلبلة في نواحيها الفكرية والاجتماعية، فالاستعمار مسيطر سيطرة تامة على كل مقاليد الحكم وشئون الإدارة، يقاتل جميع الانتفاضات ويسرع إلى خنقها، ويمضي في امتصاص ثروة الشعب يشاركه ثعالب من مختلف الجنسيات التي نزحت إلى السودان مستظلة بالاستعمار ومضت تنهب ما تستطيع من خيراته[2].

وفي هذه الحقبة نجد أن الشعراء الواقعيين اعتنوا بحرية الوطن وأهله، وتناولوا في أشعارهم موضوعات النضال السياسي والكفاح الشعبي لإبعاد المستعمر، ذلك الاهتمام يجئ من تخيلهم للواقع الموحش البائس الذي فرضه المستعمر فهم يلقون المستعمر المسيطر على مقاليد الأمور، يمتص الثروات ويستعبد المواطنين[3].

فالتيجاني يوسف بشير مثلاً أفزعه شيوع الفقر فثار ثورة صامتة تبدت في الوصف المريع لحال الفقير[4].

والحياة الاقتصادية قال عنها الشاعر جيلي عبدالرحمن والذي يقول عنه أحمد أبو السعد[5]: "إنه تعلم من الجماهير أننا نستطيع أن نصنع المستقبل"،

---

(1) نشرت في جريدة النيل عام 1941م، شركة الطباعة والنشر بالخرطوم.

(2) الاتجاهات الشعرية في السودان، محمد النويهي، مرجع سابق – 1957م.

(3) الشعر السياسي وأثره في الحياة الفكرية في السودان (1924 – 1956م) محمد زين العابدين محمود، إشراف الحبر يوسف نور الدائم ومحمد داوود – يوليو 2009م.

(4) التجاني يوسف بشير، ديوان إشراقة، مرجع سابق، ص 44.

(5) أديب وكاتب مصري عمل بكلية الآداب جامعة الخرطوم، له عدة مؤلفات في الأدب منها الشعر والشعراء في السودان. بيروت – دار النشر والمعارف 1959م.

يحتضن صراخ الجياع وأمال المشردين، وأنات المرضى، ويجوب شوارع إحدى المدن البائسة ويقول:

مشيت في شوارع المدينة أسامر العيون ** وفي الفضاء حول قصر المالك الكبير

تكوم الرعاع وإخوة جياع ** يسعون يضحكون

وأبصرت عيناي في مفارق الطريق ** صبية عنيدة مقطوعة الذراع تموج في صراع

والناس في الصقيع يحلمون بالربيع ** وهمسة الغدير

وعدت من هناك من نقاوة الحقول ** أبارك الجموع[1]

خلال الحكم التركي المصري حدث تطور اقتصادي واجتماعي لم يشهده السودان من قبل، إذ عمل الأتراك على توحيد السودان في وحدات إدارية جديدة بعد ضم مديريات دارفور والجنوب، وبدأت القبائل والطرق الصوفية تنصهر وتتطور في ظروف وأوضاع جديدة نتيجة للحروب، والضرائب، والتجارة وظهور مدن جديدة، يقول محمد سعيد القدال: "فالخرطوم التي نشأت كعاصمة إدارية انتعشت كمركز تجاري منذ عام 1824م"[2]، تحدث الرحالة أرسلان بك عن أهمية موقع الخرطوم التجاري وارتباطه بطرق القوافل التي تتجه منها إلي الشرق والغرب والشمال والجنوب ثم اقترح إنشاء مدينة تجارية بها، ووضع لها الخرائط اللازمة، وهكذا غدت التجارة فيها مهمة جداً، حتي أنها أصبحت وحدها تعادل جميع تجارة الأقاليم السودانية[3].

---

(1) لم أعثر عليها في الديوان، أوردها أحمد أبو السعد في الشعر والشعراء.

(2) الانتماء والاغتراب دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث– محمد سعيد القدال – نشر دار الجيل – بيروت، ط1، 1412هـ – 1992م، ص 101.

(3) المرجع السابق ص 101، الانتماء والاغتراب دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث– محمد سعيد القدال.

وفي عام 1913م كان هناك عجز في ميزانية السودان، وأثناء قيام الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918م عاني السودان من الفقر والمجاعة يقول حسن نجيلة: "كانت الحرب العالمية الأولى دائرة الرحى، واجتاحت السودان مجاعة عامة واضطرت الحكومة إلى شراء الذرة واستجلابها من الهند وبيعها للسكان في حدود ضيقة وتحت رقابة رجال الإدارة والبوليس"[1].

كانت الحكومة هي المسئولة الأولى والأخيرة عن العملية الاقتصادية؛ لما يعانيه البلد من الفقر والجهل الاقتصادي، يقول محمد سعيد القدال: "تولت الإدارة البريطانية أعباء السياسة الاقتصادية في السودان، إذ لم يكن بالبلاد حينئذٍ قوى اجتماعية قادرة على دخول ميدان النشاط الاقتصادي الذي يحتاجه رأس المال العالمي القادم من الخارج"[2].

تغيرت الحياة الاجتماعية في ظل هذا التطور الجديد الذي لم يألفه السودانيون من قبل، يقول ج. سبنسرتريمنجهام: "قد شهد السودان تحولاً بسيطاً في السكان مقارنة مع ما كان عليه في عهد المهدية وهناك زيادة كبيرة في توظيف العمالة الموسمية"[3].

أما التجارة الخارجية من تصدير الصمغ وغيره واستيراد السلع الأخرى فكانت مقصورة على الأجانب غالباً، هذا ما أكده ج. سبنسر: "إن المجموعات التي تبيع منتجات الفلاحين، عدا القطن إلى الأسواق الخارجية وتستورد السلع المصنعة هم الأجانب يونانيون وسوريون وأرمن"[4].

---

(1) ملامح من المجتمع السوداني – حسن نجيلة، مرجع سابق، ج1، ص 22.

(2) تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، الناشر مركز عبدالكريم ميرغني، ط1، 1992م، ص 358.

(3) الإسلام في السودان، ج سبنسرتريمنجهام، ترجمة فؤاد محمد عكود – نشر المجلس الأعلى للثقافة، 2001م، ص 254.

(4) المرجع السابق، ص 255.

وفي ظل هذا التطور الذي شهدته البلاد، تأثرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فظهرت مدن جديدة وانتعشت بها التجارة، وازداد الإقبال عليها لسهولة سبل العيش، ويقول محمد سعيد القدال: "نشأت مدن جديدة ارتبطت بالسكة الحديدية، مثل عطبرة، وبورتسودان، والخرطوم بحري، وكوستي، وسنار التقاطع، كما انتعشت مدن أخرى من امتداد الخط إليها مثل الخرطوم، والأبيض، وكسلا، والقضارف، وودمدني، وساعدت السكة حديد في دفع الطبقة الوسطى التجارية إلى مواقع التأثير فلم تعد تسيطر على تجارة التجزئة فحسب، بل على النشاط الاجتماعي والسياسي، وأنشأت حول مراكز سكة الحديد الأساسية طبقة عمالية حديثة، وأصبحت تلك الطبقة لا ترتبط بالقبلية والإقليم، وإنما بالعمل المشترك في مجال الإنتاج الواحد وتحت مخدم واحد"[1].

وفي سبيل تحقيق النجاح الزراعي والثروة الحيوانية التي اعتمد عليها السودان كلياً تقريباً، كان على الحكومة أن تعد الخبراء والمثقفين لإنجاح تلك المهمة يقول ج. سبنسرترينجهام: "وتزايدت الحاجة إلى الوظائف مع القرار بتطوير الجزيرة وما تلاه من الازدهار الاقتصادي لما بعد الحرب، ومن ثم فإن كل طلبة الكلية استوعبتهم الإدارة أو الخدمات الأخرى، وأصبح التعليم مترادفاً مع الحصول على الوظيفة الحكومية"[2].

(1) تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، مرجع سابق، ص 365.

(2) الإسلام في السودان، ج. سبنسرتريمنجهام، مرجع سابق، ص 245.

المبحث الثالث

الحياة الاجتماعية

الحياة الاجتماعية وليدة الوضع السياسي والاقتصادي الذي يعيشه أي مجتمع، وهي مظهر حضاري وثقافي، مرتبط بنشاط الأفراد والجماعات اليومي، ومن ثم تشكل الحياة الاجتماعية موقف الفرد والجماعة من أحداث عصرهم، وهذا ما يطالعنا في إبداع الشعراء والفنانين عامةً من مواقف حيال مجتمعاتهم قبولاً أو رفضاً[1].

لعل الكبت السياسي، والتغول الاقتصادي والحجر على التعليم، جدير أن يولد وضعاً اجتماعياً سيئاً غير مقبول لدى كثير من شعراء تلك الفترة، بل دفع بهم إلى الانكفاء على أنفسهم، والإنزواء في جماعات خاصة، وأفضت إلى ظاهرة شعراء المناسبات والشعراء الساخرين، ومن شعراء المناسبات البنا وعبدالرحمن شوقي، ومن الشعراء الساخرين الذين اشتهروا بهجاء المجتمع صالح عبدالقادر، وعثمان حسن بدري[2].

إن السمة الغالبة على مكونات المجتمع السوداني أنه مكون من أعراق وقبائل مختلفة، ويحمل بين طياته مدخرات تاريخية تحكي البطولة والمجد.

ففيه تكثر القبائل، ونتج عن ذلك تعدد في اللهجات والعادات والتقاليد والأمزجة، وهذه القبائل لا تدين بدين واحد والغالبة هي القبائل العربية المسلمة التي أعطت الطابع الإسلامي السوداني العربي المسلم[3].

---

(1) الشعر الحديث في السودان، محمد إبراهيم الشوش، الخرطوم، دار الطباعة قسم التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، 1971م، ط2، ص 101.

(2) المرجع السابق، ج1، ط2، ص 109.

(3) الشعر والمجتمع في السودان، عبدالحميد محمد أحمد، دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1987م، ص 33.

وحمل الإنجليز إلى السودان فيما بعد مفاهيم جديدة، وانقسم المجتمع السوداني إلى قسمين: قسم وقف بصلابة ضد الحضارة الغربية باعتباره مفسدة للأخلاق، فحارب نزعات التطور، ودعا إلى المثل الروحي والسير في ركاب المجتمع الإسلامي، باعتباره الطريق الآمن، وقسم آخر رأى التحفظ في الأخذ بهذه الحضارة في الاستفادة منها في خلق مجتمع متحضر يستطيع مواجهة التخلف الذي يشل مقدراته على السير[1].

وقد أطلق الإنجليز يدي كبار القادة السودانيين بقصد خلق طبقة جديدة تعمل على كبت الدور الوطني، والرغبات الملحة في الحياة الكريمة، بينما تركوا أكثر الشعب يباشر عمله في الزراعة والرعي[2].

وظهرت طبقة الموظفين في المجتمع، وهم الذين استفادوا مادياً من الوضع الجديد، أما بقية البلاد فقد استمرت على ما كانت عليه.

وعرف المجتمع كثيراً من أساليب الحياة التي لم تكن معروفة من قبل واعتمد على نفسه في ألوان الحياة بعد أن كان يعتمد على الرقيق في كثير من شئونه[3].

وترى الباحثة أيضاً أنه قد تغيرت كثير من العادات والتقاليد السودانية، فالسوداني محب للحرية، معتز بنفسه وببلاده، وطبيعي أن يتبع فطرته في أموره، والمجتمع السوداني غير مفتوح للغرباء، وهم يتوجسون خيفة منه، من أجل ذلك لم يتفاعلوا مع الحكم الثنائي.

---

(1) رواد التجديد في الشعر الحديث في السودان في الثلاثينات، الطاهر محمد علي البشير، سلسلة دراسات في الأدب السوداني، ط1 1998م، ص 94.

(2) الشعر الحديث في السودان، عبده بدوي، جامعة القاهرة، 1991م، ص 503.

(3) المرجع السابق، ص 411.

إن النظام الاجتماعي في السودان مر بتطورات عبر مراحل التاريخ، فكان لكل عصر تنظيمه الخاص به يتلاءم مع الظروف المحيطة بذلك المجتمع، فالتنظيم القبلي هو الشكل الأول لتكوين المجتمع في السودان، وأساس هذا التنظيم هو زعيم القبيلة وغالباً ما تكون سلطته وراثية وله نفوذ سياسي واجتماعي واقتصادي في قبيلته وأتباعه، وطاعته ملزمة لبقية القبيلة، وعلى عاتقه تقع مسئولية توزيع الأراضي الزراعية أو الرعوية، وتكون له الحصة الأكبر في ذلك، كما أنه المسؤول عن فض النزاع إذا حدث داخل القبيلة أو خارجها، عن طريق العرف والقوانين المحلية، وبلغ هذا التنظيم ذروته قبل وبعد مملكة الفور والفونج[1].

خسر السودان كثيراً من الأرواح والأموال في حروبه مع دولة المهدية ضد الحكم التركي المصري، فانتشرت الأمراض والمجاعة، والفقر، أكد ذلك نعوم شقير قائلاً: "قد قدر عدد سكان السودان قبل الثورة المهدية في سنة 1881م بنحو عشرة ملايين نسمة، وأما الآن فلا يزيدون عن أربعة ملايين نسمة لما قاسوه من الحرب والمجاعات والأمراض والمظالم في أثناء الثورة المهدية[2].

إن قيام المهدية في السودان، والانتصارات المتوالية التي حققها الجيش السوداني (الأنصار) على الحكم التركي المصري لم تعجب الإنجليز في مصر، وظلت بريطانيا تفكر بالطريقة التي تحكم بها السودان؛ لأن هذا الجيش يهدد مصالحها في القارة الإفريقية. يقول محمد أحمد محجوب: "إن ما أقلق بريطانيا

---

(1) انظر الشبكة العنكبوتية www.ahwar.org.asp تاج السر عثمان، تطور أشكال التنظيم في السودان، الحوار المتمدن.

(2) جغرافية وتاريخ السودان – نعوم شقير – دار عزة للنشر – الخرطوم، ط3، 2007م، ج1، ص 75.

هو أن تحالفاً بين الإمبراطور منليك والخليفة عبدالله قد يكون خطراً كبيراً على النيل وعلى مركز بريطانيا في مصر وعلى طريق قناة السويس إلى الهند.

خشيت لندن أن يؤدي انتصار الخليفة على الإيطاليين المطوقين في كسلا إلى تجديد حماسة الجيش السوداني للتوسع وقد نما وأصبح قوة مرعبة[1].

تدخل الإنجليز لغزو السودان بحجة إرجاع الحكم المصري على السودان، وإعادة الهيبة للإمبراطورية العثمانية التي انهزمت أمام جيوش الأنصار، والانتقام لمقتل غردون باشا وهو الهدف الرئيس والحقيقي الذي لم يصرح به الإنجليز في أول الأمر[2].

أخذت الحياة الاجتماعية بالتطور مع التطور الذي حدث في ميادين الحياة، وكان للإسلام الدور المهم في هذا المجال، وكذلك الحروب التي يقوم بها الأتراك، يقول محمد سعيد القدال: "أنعش الحكم التركي تجارة الرقيق، فكانت الحكومة تقوم بغارات موسمية على القبائل لأسرهم واسترقاقهم وشاركت مجموعات من التجار الأجانب والجلابة في تلك التجارة"[3].

ظلت الصوفية تمارس طقوسها في عهد الحكم التركي المصري، وقد دعمت الحكومة نفوذ الختمية، فكان لها المكانة الاقتصادية والسياسية والمعنوية بين السودانيين والحكام[4].

---

(1) الديمقراطية في الميزان، محمد احمد محجوب، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية، مطبعة العملة، ط1، 2005م، ص 29-30.

(2) الشعر السوداني على منصة التاريخ، دراسة أدبية تاريخية للفترة من 1881 – 1924م، مصطفى عوض الله بشارة، ط1، ص 175 – 177.

(3) الانتماء والاغتراب دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، بيروت، دار الجيل للنشر، ط1، 1412هـ – 1992م، ص 74.

(4) انظر الشبكة العنكبوتية www.ahwar.org.asp تاج السر عثمان، تطور أشكال التنظيم في السودان، الحوار المتمدن.

وعند قيام الثورة المهدية كانت نهاية الحكم التركي المصري، فعمل المهدي على توحيد القبائل في شماله وجنوبه، يقول محمد سعيد القدال: "فكرة المهدي المنتظر كانت التعبير عن النزوح والانصهار والتوحد تحت مظلتها الوارفة تجد القبيلة والطائفة مكاناً لها"[1].

حارب المهدي الطرق الصوفية، وألغى المذاهب الأربعة وجعل من القرآن المصدر الوحيد للتشريع والسنة[2].

سقط السودان تحت الاحتلال الإنجليزي المصري سنة 1898م، وزالت دولة المهدية التي أرهقت المجتمع السوداني، وتفشى فيها الفقر، والجوع، والأمراض، يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: "أنهكت الحروب التي استعرت منذ قيام المهدية السودان اقتصادياً فالزراعة قلت، والأيدي العاملة نقصت، والتجارة اضمحلت، والثروة الحيوانية تضاءلت، فلما سيطر الحكم الثنائي على البلاد كانت من أهم أغراضه رفع اقتصاديات البلاد، إذ كان يريد أن يجني الفائدة من المواد الخام ويجد لمصنوعاته أسواقاً جديدة"[3].

عندما سيطر الإنجليز على السودان، كانت الغاية الأولى للإنجليز هي الأمن، لتتمكن من العمل في المشاريع ونشر الثقافة الغربية ويعتبر هذا النظام الأول في تاريخ السودان الذي يهدف إلى رفاهية المواطن، لكن طبيعة السودان الجغرافية والاقتصادية غير مبشرة بخير فالصحاري الكبيرة واسعة، وعدم توفر

---

(1) الانتماء والاغتراب دراسات ومقالات، محمد سعيد القدال، مرجع سابق، ص 42.

(2) الشعر في السودان، عبده بدوي، دار الفكر للطباعة والنشر، 1978، ط1، القاهرة، ص 42.

(3) تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، الدار السودانية، الخرطوم، 1975م، ط3، ص 223.

طرق النقل، وقلة استصلاح الأراضي، كل هذا وقف عائقاً أمام النشاط الاقتصادي[1].

تولت الإدارة البريطانية أعباء السياسة الاقتصادية في السودان؛ لأن البلاد لم تكن قادرة على دخول النشاط الاقتصادي الذي يحتاجه رأس المال العالمي القادم من الخارج[2].

أرادت الحكومة أن تشجع المواطنين على زراعة الأراضي الصالحة، فأصدرت قانون تمليك الأراضي، يقول محمد سعيد القدال: "كان قانون ملكية الأراضي الزراعية لعام 1899م من أول القوانين التي أصدرها الحكم البريطاني"[3].

ومن أهم المشاريع الزراعية التي قامت بها الحكومة مشروع الجزيرة الزراعي، وكذلك خزان سنار المائي ليضمن الرعي المستمر للأراضي الزراعية، يقول ضرار صالح ضرار: "وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى بدأ العمل في بناء الخزان باستلاف مبلغ ثلاثة عشر مليون جنيه من أصحاب رؤوس الأموال البريطانيين، وقبلت الحكومة البريطانية ضمانة السودان وفي سنة 1950م أصبح ملكاً لحكومة السودان"[4].

أذعن السودانيون صاغرين أمام قوة وجبروت الاستعمار إذ لم يتهاون الإنجليز في استخدام القوة مع كل من يقف معارضاً أمام مخططهم، وبالمقابل أدرك السودانيون أن الثورات والانتفاضات المتفرقة لا تجدي نفعاً فدعوا إلى

---

(1) الإسلام في السودان، مرجع سابق، ص 243.

(2) تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، الناشر مركز عبدالكريم ميرغني، ط1، 1992م، ص 360.

(3) تاريخ السودان، محمد سعيد القدال، مرجع سابق، ص 308.

(4) تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، الدار السودانية للنشر، ط1، 1975م، ص 225.

تثقيف الشعب وتعليمه وتوحيد أفكاره لطرد الاستعمار، وأيقنوا أن الخلاص من المستعمر لا يتم إلا عن طريق التسلح الفكري، فخرج جيل جديد أكثره من خريجي كلية غردون، دعوا إلى تشكيل جمعيات وأندية أدبية في أم درمان والمناطق الأخرى من السودان، وسرعان ما تحولت هذه الجمعيات والأندية الأدبية إلى حراك سياسي يطالب برغبات الأمة وما يعانيه الشعب السوداني[1].

ولكن بمجرد خروج الجيش المصري من السودان أخرست الألسن التي كانت تنطق باسم مصر ونكلت بأعضاء جمعية اللواء الأبيض فأعدمت بعضهم وحكمت بالسجن على البعض الآخر، وسارعت بإصدار تشريعات الإدارة القبلية وعملت على اضطهاد المتعلمين والتضييق عليهم حتى لحق هذا الأمر تلاميذ المدارس، وفي الوقت نفسه شجعت غير المتعلمين ودفعتهم لتقدم الصفوف وتولي الأمور القيادية

إن الظروف السياسية والاجتماعية السائدة وقتذاك تحتم على هؤلاء الشعراء وضع أهمية كبرى لمثل هذه الموضوعات، وهذا ما فطن إليه النويهي مستدركاً حيث يقول: "فلنذكر أن هذه الحوادث مع سذاجتها وبساطتها كان ذات مغزى عميق، فالحكم الأجنبي كان يحارب التوسع في التعليم بعد حوادث 1924م ويحاول أن يخنق صوت العدد الضئيل من الخريجين والمتعلمين مما يجعلنا نقبل هذا التهويل في تصورنا للحوادث"[2].

---

(1) الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد المحجوب، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية، مطبعة العملة، ط1، 2005م، ص 32.

(2) الاتجاهات الشعرية في السودان، محمد النويهي، مرجع سابق، ص 65-66.

المبحث الرابع

الحـــياة الثقـــافية

الحياة الثقافية التي فرضها الاستعمار على البلاد، من كبح سياسي، واستغلال اقتصادي، وفرض للجهالة، وتحريم لحركات الإصلاح، تاقت نفس الكثيرين إلى التخلص من هذا الجحيم، فنزعوا بأبصارهم إلى مصر[1].

ويقول محمد غنيمي هلال: "إن الشعر الخليق بالبقاء والخلود هو ما ارتبط بقضية التحرير وتطور الإنسان، والشاعر الحق الجدير بالإشادة هو من اهتم بالحقائق الكونية والظواهر الاجتماعية من حي صداها في النفوس وتأثيرها في الوجدان فليس المطلوب من الشاعر أن يستغرق في التأمل في الجمال الخالد والخير المحض، على حين يعاني وطنه ذل الاحتلال أو عناء الطغيان، وليس له أن يسترسل في خيالاته ومشاعره الفردية ووطنه يجاهد في سبيل آمال مشتركة"[2].

وقد آثر المصريون المدنيون الذين تخلفوا في السودان العزلة والانطواء، وكذلك انطوى السودانيون على أنفسهم فصاروا لا يطالعون صحف مصر ولا يتبادلون أحاديث السياسة العالمية والعربية إلا في نطاق محدود فإذا ما جاء حديث السياسة عن بلادهم جاء حديثهم همساً لا يكاد يسمع، وربما استعانوا على هذا بالإيماء دون التصريح مع أن سياسة مصر في السودان قبل خروج الجيش كانت سلبية وكان الإنجليز يصرفون مقادير البلاد[3].

---

(1) الاتجاهات الشعرية في السودان، محمد النويهي، مرجع سابق، ص 66-67.

(2) المدخل إلى النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 1378هـ - 1959م.

(3) الشعر الحديث في السودان، بدوي عبده بدوي، دار الفكر للطباعة والنشر، 1978م، ط1، القاهرة.

لقد كان لهزيمة الطلائع التحريرية التي كان آخرها ثورة 1924م أثر كبير في نفوس السودانيين فقد خبت الثورة في نفوسهم وتقبلوا الضغط الإنجليزي بروح سلبية، وقد ابتعدوا ما أمكن عن السياسة فلم تأخذ جمعياتهم في هذه الفترة اتجاهات سياسية سافرة وإنما تلونت بالجانب الفكري، ومن هذا تكونت جمعيات صغيرة تقوم على وحدة الحي والشارع أو المدرسة أو طبيعة العمل كما تكونت بعض الجمعيات للتمثيل والمطالعة المشتركة والمراجعة وتكونت جمعيات للخطابة والإنشاد والشعر والمناظرات، وهكذا أظهرت القومية بمعناها الصحيح فظهرت دعوات تنادي بالتعليم الأهلي والرغبة في التعليم بالقاهرة وتشجيع الرياضة وفي هذه الأثناء كانت الحكومة تعمل على تأسيس نظام أهلي قبلي لإدارة شئون الأهالي مما يترتب عليه الوصول إلى المناصب الحكومية حتى قامت الدولة بإصدار خرائط تعتمد في تقسيمها على النظام القبلي[1].

كان التعليم قبل الحكم الثنائي الإنجليزي المصري في الدولة المهدية معتمداً التعلم في الخلاوى، وكانت تمثل الخلوة الوحدة التعليمية الرئيسية في السودان، ومهمتها الأساسية نقل العلم الديني إلى الطلاب، وحفظ آيات القرآن وبعض العلوم الفقهية[2].

لكي لا تبث الروح الجهادية ضد الإنجليز ألغوا الخلاوى التي أقامها المهدي؛ وأقاموا بدلاً عنها التعليم الحديث النظامي، الذي لم يلبيِّ رغبات السودانيين المتزايدة مع قلة المدارس، يقول مصطفى عوض الله بشارة: "لقد سعت الإدارة البريطانية في السودان إلى انتزاع الشخصية السودانية من أصالتها وجذورها حيث اقتضت مخططاتهم التي تهدف إلى – أنجلزة – السودانيين، بأن

(1) الشعر الحديث في السودان، بدوي عبده بدوي، مرجع سابق، ص 482.

(2) تاريخ السودان،ضرار صالح ضرار، مرجع سابق، ص 226.

تغلق آلاف المدارس التي كانت تعنى بتحفيظ القرآن، خشية أن توقظ الروح الديني المجاهد من جديد ولم تجعل لها بديلاً، فكان عدد الأطفال الذين يتقدمون للالتحاق بالمدارس الأولية القليلة بكل مدرسة منها، يقرب من خمسمائة طفل، ولا يؤخذ منهم سوى أربعين"[1].

يعدُّ كتشنر واضع أول لبنة تعليمية في السودان؛ فقد انتهز فورة حماس الشعب البريطاني لانتقامه لغردون، فطلب من البريطانيين أن يتبرعوا لتخليد ذكرى غردون بإنشاء معهد تعليمي في السودان يطلق عليه كلية غردون التذكارية، وجمعت التبرعات في بريطانيا وبلغت مائة ألف جنيه، وبدئ العمل في البناء الذي تم في عام 1902م"[2].

كان هدف الإنجليز من إدخال التعليم في السودان أن يساعدهم الخريجون في بعض الوظائف الصغيرة كالكتبة وغيرها، وليحل السودانيون بديلاً عن الموظفين المصريين.

وبعد افتتاح كلية غردون نقلت إليها المدارس التي كانت في أم درمان ويقول عزالدين الأمين: "وفي أكتوبر سنة 1902م تمت المباني الخاصة بها – كلية غردون – وافتتحها كتشنر عندما زار البلاد لهذا الغرض، ثم بدأت الدراسة بها في أكتوبر سنة 1903م ونقلت إليها الأقسام التي افتتحت مؤقتاً بأم درمان والخرطوم وتطورت هذه الكلية بعد ذلك وأنشئت فيها أقسام مختلفة، وكانت أهم

(1) انظر: الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشارة، مرجع سابق، ص 286.

(2) تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، مرجع سابق، ص 226 – 227.

أقسامها في عهدها الأول: قسم معلمي اللغة العربية والقضاة الشرعيين وقسم مدرسي اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة، وقسم الهندسة"[1].

ورغم ما يعانيه السودان من الفقر في تلك الفترة إلا أن وزير المعارف استطاع أن يتوسع في التعليم، يقول ضرار صالح ضرار:"لم يكن من الممكن في تلك الظروف المالية أن يتوسع التعليم حسب رغبة الأهالي؛ لأن البلاد كانت فقيرة، لكن مع ذلك نجد أن مدير المعارف جيمس كري كان مخلصاً في رغبته لزيادة المدارس حتى استطاع أن يفرض ضريبة خاصة للتعليم ساعدت بعض الشيء في إنشاء مدراس مختلفة وتذكر أعمال كري بمزيد من التقدير بين السودانيين خاصة الذين عاصروه وهو الذي أنشأ الكلية الحربية بالإضافة إلى التوسع في التعليم"[2].

كان أغلب المدرسين من المصريين والسوريين يقول ضرار صالح ضرار: "كان الأساتذة المصريون أعمدة التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية والكلية ولهم فضل كبير في تشجيع تلاميذهم على الاطلاع خارج ساحات المدارس ونهل الثقافة العربية"[3].

تم افتتاح معمل كيماوي في كلية غردون، ويذكر فضل المستر ولكم الذي أهدى معداته للكلية التذكارية[4].

شعر السودانيون بضرورة التعلم، ومواكبة ما يحدث من تطورات في العالم العربي والعالمي، يقول محمد أحمد محجوب: "بدأنا ندرك أننا في حاجة

---

(1) نقد الشعر في السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية، عزالدين الأمين، دار جامعة الخرطوم، مطبعة جامعة الخرطوم الطابعون، ط1، 1420هـ – 1999م، ص 18.

(2) تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، مرجع سابق، ص 227.

(3) المرجع نفسه، ص 228.

(4) المرجع السابق نفسه، ص 227.

إلى أسلحة تختلف عن تلك التي استعملها آباؤنا، وكنا ورثة ماضٍ بطولي مجيد وسدنة حاضر مظلم، وخطاب مستقبل مجهول فإذا كنا نريد أداء دورنا واستعادة حرية بلدنا، فإن علينا أن ننبذ السيف والرمح ونستعمل الأسلحة الجديدة الخاصة بالتربية والمعرفة والثقافة الحديثة"[1].

كما دعا الجيل الجديد إلى تثقيف المرأة، ولكن فريق المحافظين وقفوا ضد تثقيفها واعتبروها فساد وانحلال للمجتمع، بينما يرى الجيل المثقف بضرورة أن تأخذ دورها باعتبارها جزءاً من المجتمع[2].

يقول حسن نجيلة: "يدور كل هذا الجدل في الوقت الذي أقدم فيه رجل عظيم على اتخاذ خطوة جريئة فانشأ أول مدرسة أولية للبنات في السودان 1907م، أنشأها في داره في رفاعة وناله في سبيل ذلك ما نال أصحاب الرسالات هو بابكر بدري طيب الله ثراه"[3].

وقف بعض الشيوخ ورجال الدين الموقف السلبي أمام التطور في السودان، وخصوصاً العملية التعليمية واعتبروها مناقضة لتعاليم القرآن الكريم، وهدم التراث العربي، والثقافة الإسلامية[4].

لكن سرعان ما واكبوا التطور ودعوا إلى التعلم الجديد في البلاد، يقول بله عبدالله مدني: "لما رأى رجال الدين والشيخ بعض المتعلمين على النهج الجديد ينادون بصون الدين وإعزازه والحديث عن اللغة العربية وتمجيد ماضي العرب والإسلام صدوا عن هذا المفهوم ودعوا إلى التعليم الجديد وألحوا في

---

(1) الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، مرجع سابق، ص 32.

(2) تطور الشعر العربي في السودان، بله عبدالله مدني، مرجع سابق، ص 87.

(3) ملامح من المجتمع السوداني، حسن نجيلة، مرجع سابق، ج1، ص 94.

(4) تطور الشعر العربي في السودان، بله عبدالله مدني، مرجع سابق، ص 190.

طلبه وذموا الجهل ونسبوا إليه ما أصابهم من التأخير والضعف وهم في معظم الأحوال يقرنون العلم بالدين والخلق"[1].

يقول عبدالله عمر البنا في الحث على طلب العلم:

لنـــا بالطـــب جهـــل أي جهـــل ** فـــإن الجهـــل فـــي شـــعب ممـــاتُ

فكيـف يحـوز قصـب السـبق قطـر ** جفـــاه مـــع المحـــامين الأســـاةُ

شـباب القطـر فـي لهـفٍ وشـوقٍ ** إلـــى ســـبب تـــزول بـــه الأذاةُ[2]

أقبل السودانيون بجدٍ وعزيمة في طلب العلم فالتحقوا بكلية غردون، وتخرجوا فيها، فظهر جيل جديد مثقف، عمل على تكوين ملتقيات ثقافية وجمعيات أدبية واجتماعية وفكرية، فكان لهذه المجالس والمنتديات الدور البارز في تشكيل نادي الخريجين بأم درمان ومن ثم الأندية الأخرى، يقول عزالدين الأمين: "أما أندية الخريجين فكان أول نادٍ افتتحوه فيها هو نادي خريجي مدارس السودان بأم درمان، وهو الذي أصبح يتحدثون عنه فيما بعد بشيخ الأندية وكان افتتاحه في يوم 18 مايو 1918م، وانتخب حسين شريف أول رئيس له"[3].

أدرك السودانيون بأن الإنجليز يضنون بالعلم، ولا يعطونه إلا بالمقدار اليسير، يقول مصطفى عوض الله بشارة: "في فترة الحكم الاستعماري ضيقت مصلحة المعارف من التعليم الأوسط ما وسعها التضييق فحتى عام 1946م، لم يتجاوز عدد المدارس الوسطى إحدى عشرة مدرسة، وكان التلاميذ يدفعون أجراً يوازي ما أنفق عليهم"[4].

---

(1) تطور الشعر العربي في السودان، بله عبدالله مدني، مرجع سابق، ص 190-191.

(2) ديوان عبدالله محمد عمر البنا، ج1، ط2، تحقيق علي المك، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم، 1971م، ص102.

(3) نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، مرجع سابق، ص 37.

(4) الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشارة، مرجع سابق، ص 227.

فكان لنادي الخريجين الأثر الواضح في توعية الشباب وتثقيفهم وحثهم على الدراسة، ومنه خرج أو تنظيم سياسي (جمعية الاتحاد)[1].

عمل المثقفون في جمعية الاتحاد على مساعدة الطلاب بإكمال دراستهم في مصر، يقول عز الدين الأمين: "كانت جمعية الاتحاد السوداني السرية قد يسرت أول نزوح للطلبة في ذلك العهد، إذ كان من أهدافها أن تساعد بعض طلبة كلية غردون على النزوح لمصر لمواصلة تعليمهم هناك. وقد أمكنها سنة 1923م أن ترسل بعض الطلبة، فالتحقوا بجامعة فؤاد الأول جامعة القاهرة الآن، وكان أول من سافر من الطلبة النازحين توفيق أحمد البكري وبشير عبدالرحمن ثم لحق بهما الدرديري أحمد إسماعيل سنة 1924م، وقد مضت حياتهم في مصر شاقة عسيرة حتى عطف عليهم الأمير عمر طوسون فرتب لهم إعانات شهرية"[2].

حارب الإنجليز تعليم السودانيين في مصر، واعتبروا من يذهب للدراسة هناك خارج عن القانون، فكانوا يطاردونهم مستقلين نفوذهم في مصر، فضيقوا عليهم العيش، وحرموهم من أي معونات مادية أو معنوية، ومنعوهم من الرجوع لبلادهم[3].

لقد شكا توفيق أحمد البكري من مضايقة الإنجليز له في مصر أثناء طلبه للعلم، وقد واساه الشاعر توفيق صالح جبريل بقصيدة يخاطبه بها، بعد

---

(1) الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشارة، مرجع سابق، ص 227.

(2) الشعر السوداني، عز الدين الأمين، مرجع سابق، ص 22-23.

(3) المرجع نفسه ص 22.

هروبه مع زميله بشير عبدالرحمن، يصور فيها حالة الكفاح في طلب العلم[1]. بعنوان إلى الشاعر الباكي جاء فيها:

حزت الحقوق وجزت ما لم يرقه ** راقٍ وضاعت من يديّ حقوق

(الشاعر الباكي تألق نجمة ** وتلألأت لما أطل بروق

وافى وبين يديه سفر جهاده ** نجم يضيء وللجهود شروق

هاجرت تبغي العلم تستدني العلا ** حتى احتواك مكانه المرموق

وهبطت مصر وأنت لست بآمنٍ ** والعيش مضنٍ والطريق سحيق[2]

إن نادي الخريجين كان النواة الأساسية لربط المثقفين والخريجين، يقول ضرار صالح ضرار: "لم يكن لهؤلاء الخريجين من شأن يربطهم إلا نادي الخريجين في أم درمان وهو النادي الذي زاره المستر سمسن مدير المعارف السودانية وقال فيه أن هذا النادي سيلعب دوراً خالداً في تاريخ البلاد، وكان سمسن يعرف أن التعليم أساس لكل نهضة قومية"[3].

وظهرت فكرة تكوين مؤتمر الخريجين من نادي ودمدني على غرار المؤتمر الهندي، يهتم بالخريجين ويدافع عن حقوقهم، يقول عزالدين الأمين: "دعا أحمد خير لقيامه لأول مرة في يونيو عام 1937م على صفحات جريدة السودان، مستوحياً اسمه من المؤتمر الهندي ثم أعاد الدعوة مرة ثانية على صفحات مجلة الفجر في مايو 1927م، وعندئذٍ تولى تنفيذ الفكرة نادي الخريجين بأم درمان وأصبح المؤتمر حقيقة واقعة في فبراير سنة 1938م"[4].

---

(1) الشعر السوداني، عز الدين الأمين، مرجع سابق، ص 23.

(2) ديوان أفق وشفق – توفيق صالح جبرلي، تحقيق محمد إبراهيم.

(3) أبو سليم ومحمد صالح حسن، نشر دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ – 1991م، ص 112.

(4) ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 245.

كان لهذا المؤتمر والفروع التي فتحت له في المناطق الأخرى الدور الكبير في سير العملية التربوية، ودفع عجلة التعليم في السودان إلى الأمام يقول عزالدين الأمين: "بدأ المؤتمر نشاطه ببعض الأعمال الاجتماعية مثل التعليم الأهلي فكان ينشئ المدارس في نواحي السودان المختلفة، ويعين بعضها، كما أنه أنشأ عدداً من المعاهد العلمية في مستوى المدارس المتوسطة (الابتدائية آنذاك) كذلك كان يساعد على إنشاء مدراس القرآن الكريم والمدارس الليلية لمحاربة الأمية معتمداً على تبرعات المواطنين، وقد أمكنه حتى حلول الاستقلال سنة 1956م، أن ينشئ إحدى وسبعين مدرسة في حين أن المدارس المتوسطة الحكومية في عهد الاستعمار كانت قد بلغت ثلاثاً وثلاثين مدرسة فقط"[1].

في عام 1939م، أصدر المؤتمر صحيفة لتكون تعبيراً لحال الخريجين والمثقفين في السودان، وقد أثرت أعمال المؤتمر في الحياة الفكرية والثقافية والسياسية[2].

خرج عن هذا المؤتمر أكثر الشخصيات الوطنية التي عملت على استقلال البلاد في المستقبل.

إن وسائل التعليم والمنهج الذي اتبعته بريطانيا لم يكن واحداً في جميع بقاع السودان، بل حاولت جاهدة في فصل الجنوب الإفريقي عن الشمال العربي فتبنت التعليم في الشمال، بينما تُرك الجنوب الإفريقي للإرساليات تنصر الوثنيين هناك وتدير العملية التربوية حسب رغبتها وأهوائها، يقول ضرار صالح

(1) نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، مرجع سابق، ص 42.

(2) المرجع نفسه، ص 43.

ضرار: "استمرت الإرساليات المسيحية من كاثوليكية وبروتستانتية تسيطر على التعليم هناك حتى سنة 1926م"[1].

إن الحكومة أطلقت زمام الأمر للإرساليات بنشر أفكارها ومحاربة الإسلام والثقافة العربية، يقول مصطفى عوض الله بشارة: "لقد وجه نقد مستمر لسياسة التعليم في السودان في فترة الحكم الاستعماري؛ لأن الجمعيات التبشيرية أخذت وضعاً مميزاً، وإن أبناء المسلمين في المدارس التبشيرية قد أجبروا على تلقي دروس الدين المسيحي، وفي جنوب السودان أطلق العنان للمبشرين واتبعت سياسة موجهة ضد الإسلام والثقافة العربية"[2].

قام الإنجليز بربط جنوب السودان بالدول المجاورة له، بحجة تعليم أبنائهم، يقول ضرار صالح ضرار: "في سنة 1928م، عقدت إدارة الحكم الثنائي مؤتمراً في الرجاف حضره ممثلون من حكومة يوغندا والكنغو البلجيكي والسودان وجمعية الإرساليات التبشيرية في الأقطار الثلاث، وكانت مديرية بحر الغزال ومنقلة قد وضعت تحت إشراف رئاسة بطريركية الإرسالية في شمال يوغندا عام 1926م، وكانت أهم مقررات الاجتماع هي توحيد حروف الكتابة بين تلك الأقطار وجنوب السودان، كما نظر في موضوع الكتب المدرسية والأجرومية، باعتبار استبعاد اللغة العربية أمراً مفروغاً منه"[3].

تكاتفت جهود المثقفين من الجنوب والشمال في توحيد التعليم، وبعد عقد مؤتمر جوبا بعامين غيرت بريطانيا من سياستها في التعليم بعد أن قررت الأغلبية الجنوبية رغبتها الأكيدة في توحيد البلاد، يقول ضرار صالح ضرار:

---

(1) تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، مرجع سابق، ص 228.

(2) الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشارة، مرجع سابق، ص 276.

(3) تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، مرجع سابق، ص 228-229.

"فقرر الإنجليز تعليم اللغة العربية في الجنوب وإرسال التلاميذ الذين يتمون تعليمهم الثانوي إلى الكلية الجامعية بالخرطوم بدلاً من كلية ماكريري في يوغندا تمشياً مع رغبة السودانيين الجنوبيين"[1].

وقد فشل الإنجليز في مخططهم هذا، إذ أصبح السودانيون أكثر وعياً وثقافة وحواراً سياسياً من العصور السابقة، وقد قفز السودان خطوات واسعة في طريق العلم والثقافة أثناء الحكم الإنجليزي المصري.

تأثير الإنجليز في ثقافة السودانيين:

يقول الأستاذ محمد أحمد محجوب: "حدث تطوران رئيسيان خلال الحكم الثنائي الذي دام ستة عقود حتى الاستقلال أحدهما رسوخ الوجود الإنجليزي – المصري، والآخر وهو الأهم انتشار العلم بين أفراد الشعب السوداني"[2].

إن للصحافة الدور البارز في ثقافة أي مجتمع من المجتمعات في العالم، لم يكن السودان يعرف الصحافة في أول الحكم الثنائي واعتمد على الصحف القادمة من مصر، فكانوا يقرأون الأهرام والمؤيد والمقطم والسياسية اليومية والأسبوعية والرسالة والثقافة، وكانت البلاغ أكثر الصحف المتداولة في السودان حتى بعد ظهور الصحافة في البلاد[3].

وأول صحيفة صدرت في السودان كانت صحيفة (غازيتة) وهي تابعة للحكومة يقول عزالدين الأمين: "وبدأت الصحافة في السودان بالصحافة الرسمية

---

(1) تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، مرجع سابق، ص 229.

(2) الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، مرجع سابق، ص 32.

(3) نقد الشعر في السودان، مرجع سابق، ص 27.

إذ أصدرت الحكومة في مارس 1899م غازيتة حكومة السودان، وكانت غايتها نشر قوانين الحكومة وقراراتها ولوائحها وأوامرها"[1].

وكانت أول صحيفة سودانية هي صحيفة السودان يقول نعوم شقير: "وفي أوائل سنة 1903م منح د. فارس نمر وشركاؤه الأجلاء امتيازاً بنشر جريدة في السودان باسم (السودان) فولوا إدارتها وتحريرها إلى الكاتب الأديب المثقف خليل أفندي ثابت من متخرجي مدرسة الكلية السورية النابغين، فأصدر مثالاً منها في 24 سبتمبر 1903م ثم شرع في إصدارها تباعاً مرتين في الأسبوع"[2].

وأول صحيفة ظهر الكتاب والشعراء والأدباء السودانيين على صفحاتها هي صحيفة (رائد السودان) وهم يمثلون الجيل الأول من الأدباء بعد الدولة المهدية، ومن أبرز من كتب فيها من الجيل الجديد عبدالله عمر محمد البنا، وأحمد محمد صالح، وحسن بدري، وتوفيق صالح جبريل، بالإضافة إلى بعض الأدباء الذين عاشوا عصر المهدية والعصر الحديث[3].

وصحيفة رائد السودان كانت لشخصين يونانيين من المقيمين في السودان، وأهم أهدافها تثقيف القارئ وموضوعاتها علمية أدبية اقتصادية، وبالإضافة إلى نقل الأخبار اليومية وكانت تصدر كل أسبوع[4].

كان هناك تضييق من الحكومة السودانية على الكتّاب والمثقفين، يقول حسن نجيلة: "كتب مقالة في الرائد مقالاً ملتهباً تحدث فيه عما يلاقيه الناس من ضائقة العيش، وعنون لمقاله بهذا البيت القائل:

تموتُ ألأسد في الغابات جوعاً ولحم الضأن يطرح للكلاب

---

(1) المرجع نفسه، ص 27.

(2) جغرافية وتاريخ السودان، نعوم شقير، ج3، الباب الخامس، ص 1327.

(3) نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، مرجع سابق، ص 28.

(4) المرجع نفسه ونفس الصفحة.

وكان هذا البيت وحده من معاني الثورة والاستفزاز فألقي القبض على الصحفي محرر الرائد واعتقل"* [1].

وأول صحيفة وطنية بحته هي صحيفة حضارة السودان، يقول عزالدين الأمين: "وعندما توقفت رائد السودان عام 1918م، عمل حسين شريف على إصدار أول صحيفة وطنية صميمة فكانت صحيفة حضارة السودان التي صدر العدد الأول منها في يوم الخميس 28 فبراير 1919م"[2].

فكانت صحيفة حضارة السودان صحيفة اجتماعية أدبية تُعنى باللغة العربية وآدابها، ومنها الصفحات التي كانت تهتم بالأدب، كشعر الفكاهة، والتشطير، والمعارضات والمقالات الأدبية، وكانت تعين جائزة للفائز في تشطير شعر شعراء العرب القدامى، ومن أبرز من كتب على صفحاتها بخصوص الأدب، مقالات حسين شريف بعنوان: الأدب وأين نحن منه؟ وظهر على صفحاتها رائدا النقد في السودان وهما الأمين علي مدني، ومن بعده حمزة الملك طمبل، وكان حمزة ينوي التجديد في الشعر السوداني، فكانت مقالاته عن الأدب السوداني بعنوان، الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه[3].

وعن جريدة الفجر، فقد ظهرت في يونيو عام 1992م، وهي نصف شهرية وقد أنشأها وترأسها عرفات محمد عبدالله ولكنها لم تستمر طويلاً فأغلقت بعد وفاته في الأول من أكتوبر 1935م، ومن أشهر الشعراء والكتاب والمثقفين الذين كتبوا فيها، التيجاني يوسف بشير، ومحمد أحمد محجوب، ومرضي محمد خير، وصالح عبدالقادر، وعبدالقادر إبراهيم، وعبدالله عبدالرحمن، والهادي

---

* البيت الشعري للإمام الشافعي – انظر ديوان الشافعي المسمى (الجوهر النفيس من شعر الإمام محمد بن إدريس) تقديم وتعليق محمد إبراهيم سليم، نشر مكتبة ابن سينا، مصر الجديدة، القاهرة، ص 15.

(1) ملامح من المجتمع السوداني، حسن نجيلة، الخرطوم، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، 1980م، دار جامعة الخرطوم، ص 22.

(2) نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص 30.

(3) المرجع السابق، ص 31-32.

العمرابي، ومحمد عبدالقادر كرف، وعرفات، ومحمد عشري الصديق، ومصطفى التني[1].

جاءت المرحلة الثانية بعد فشل ثورة 1924م، فقد أحس المتعلمون والمستنيرون بخيبة أمل جارفة تولدت نتيجة لإحساسهم بالهزيمة والقهر، فهذه الفترة لم تطل فسرعان ما تغلبوا على هذا الإحساس، وهضموا ما أصابهم من خيبة أمل، وأدركوا أن ما أصاب الثورة شيء لابد منه لتفجر ثورات أخرى، على أثر ذلك بدأوا يستعيدون توازنهم ويقفون على أرجلهم مرة ثانية، بل صاروا أكثر جرأة وعنفاً في نقدهم لسياسة الإنجليز في السودان، وقد أكثر المتعلمون من القراءة، وتعمقوا فقرأوا الصحف والمجلات والكتب وكان من اهتماماتهم الأدب الأندلسي وموشحاته على الخصوص وقرأوا من الأدب الغربي، مما أدى إلى ارتباطهم بجميع التيارات الفكرية والأدبية المعاصرة، وتكونت لديهم آراء وأفكار جعلتهم ينقسمون إلى مدارس فكرية وأدبية وقامت على ذلك الأندية والجمعيات الأدبية والثقافية ومجالس الأنس الخاص، وكانت حصيلة ما جد على الحياة الفكرية، ظهور فئة جديدة من المتعلمين وثقافتها مزيج من الثقافتين العربية والغربية وصارت تتطلع نحو التجديد، مما أدى إلى صراع بين الفئة ذات الثقافة التقليدية والثقافة الجديدة ونتج صراع ثقافي أثرى الأندية وصفحات الصحف والمجلات، وخاصة في صفحات مجلتي النهضة السودانية والفجر[2].

تمثل هذه الفترة من تاريخ السودان عهد النهضة في جميع المجالات وخاصة الأدب، استطاع السودانيون خلال فترة وجيزة أقل من عقدين على الاحتلال البريطاني أن يصدروا ويحرروا الصحف السودانية الوطنية البحته، وأن يملأوا الصحف بأقلامهم وبنات أفكارهم بعد أن كانت مصر تكتب وتطبع والسودان يقرأ فقط، فظهر كتاب وشعراء وأدباء يشار لهم بالبنان[3].

---

(1) نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص 43-35.

(2) صالح عبدالقادر حياته وشعره، تأليف عواطف عمر عبدالله، دار الجيل، بيروت، ص 66.

(3) نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، مرجع سابق، ص 5.

خلاصة الفصل الأول

عصر الشاعرين وأثر الحياة السياسية

حيث تعد الفترة التي نشأ فيها الشاعران: التيجاني وجماع من أسوأ الفترات سياسياً، واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً لا في السودان فحسب بل في العالم أجمع.

أدت الأزمات السياسية والاقتصادية إلى نشوب الحرب العالمية الأولى والثانية وترتب على ذلك تعسف المنتصر، واضطهاد المهزوم، ووضع الدول المهزومة تحت الوصايا الاستعمارية ومنها السودان.

وكانت الحياة الاقتصادية في السودان في فترة الحكم الثنائي صعبة حيث مرّ السودان بظروف اقتصادية مأزومة، حيث أحكم المستعمر قبضته على كل خيرات البلاد وتحكم في مصادرها، وكانت معاناة المبدعين الاقتصادية في طباعة ونشر إبداعهم الفكري، وكانت الأوضاع على درجة كبيرة من السوء في النواحي الفكرية والاجتماعية، فالاستعمار كان يقاتل جميع الانتفاضات، ونجد أن الشعراء تناولوا في أشعارهم موضوعات النضال السياسي،والكفاح الشعبي، لإبعاد المستعمر.

ونجد أن الحياة الاجتماعية كانت وليدة الوضع السياسي والاقتصادي فالنظام الاجتماعي مرّ بتطورات عبر مراحل التاريخ فكان لكل عصر تنظيمه الخاص.

أما الحياة الثقافية ففي ظل أوضاع قاسية فرضها المستعمر على البلاد من كبح سياسي واستغلال اقتصادي، وفرض للجهالة وتجريم لحركات الإصلاح، تاقت نفس الكثيرين إلى التخلص من هذا الجحيم، فنزعوا بأبصارهم إلى مصر.